الأسوار القديمة في المملكة العربية السعودية: وظائفها وتاريخها

أ.د. عبدالعزيز بن سعود بن جارالله الغزي*

مقدمة

الأسوار هي ما يحيط بالشيء، وهي ما يقي الإنسان به نفسه وما يملك أي كان نوعه، والأسوار من وسائل الحماية، فهي ليست وسيلة دفاع أو هجوم، بل وسيلة حماية مؤقتة لابد أن تؤازر بوسائل أخرى لتؤدي فاعليتها الايجابية، وربما تنقلب فاعليتها إلى سلبية فتتسبب حينئذ في القضاء على من بداخلها. يُوجد الإنسان الأسوار ليمنع أن يقع ما يكره تحسباً منه حتى وإن كانت حساباته غير واقعية وغير منطقية لكنه بأحاسيسه يظنها واقعية حقيقية. وقد تكون الأسوار نفسية، وقد تكون مادية؛ فأما النفسية فهي ما أحاط الإنسان به نفسه من أحاسيس وأوهام وأفكار في الغالب غير واقعية تعزله عن غيره وتجعله يعيش منفرداً، وأما المادية فهي ما يُشيد ليتقي به الأخطار، وهي موضوعنا في هذا البحث.

وورد في **لسان العرب المحيط** لابن منظور المجلد الثالث ص ٢٣٧(... والسُورُ: حائط المدينة، مذكرٌ ... والجمع أسْوارٌ وسِيْرانٌ. وسُرْتُ الحائطَ سَوْراً وتَسوّرتُه إذا علَوتَه. وتَسورَ الحائطَ: تسلّقه. وتسوَّر الحائط: هجم مثل اللص: عن ابن الأعرابي. وفي حديث كعب بن مالك: مشيتُ حتى تسوَّرتُ جدارَ أبي قتادة أي علوتُه؛ ومنه حديث شيبة: لم يبقَ إلاّ أن أُسَوِّرهُ أي أرتفعُ إليه وآخذه. وفي الحديث: فتَساوَرتُ الحائط وسوَّرتُه. وفي التنزيل العزيز: إذ تَسَوَّروا المحرابَ؛ ...والسُّورَةُ: المنزلة، والجمع سُورٌ و سُورٌ؛ الأخيرة عن كراع، والسُورةُ من البناء: ما حَسُنَ وطال)، انتهى.

وجاء في **القاموس المحيط** للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (والسور حائط المدينة ج أسوار وسيران وكرام الإبل والسورة المنزلة ومن القرآن م لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى والشرف وماطال من البناء وحسن والعلامة وعرق من عروق الحائط ج سور وسور والسوار ككتاب وغراب القلب كالاسوار بالضم ج اسوار بالضم ج أسورة وأساور وأساورة ..)، انتهى. وأسفرت الدراسات الميدانية عن وجود نظام أسوار في المملكة العربية السعودية يبدأ منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد ويستمر إلى ما قبل خمسين عاماً عندما استقرت الأوضاع وتجاوز الزمن فاعلية الأسوار. والواضح أن الخوف كان هو السبب الأول لظهور

* جامعة الملك سعود- كلية السياحة والآثار- قسم الآثار - رئيس قسم الآثار ورئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

الأسوار، ووجود الثروات والأملاك التي يُطمع فيها السبب الثاني، أما السبب الثالث فهو فاعليتها في صد هجوم المباغتة.

والخوف صفة من الصفات الأصيلة في الإنسان، إلا أنّ حدته تختلف من إنسان إلى إنسان، ومن ظرف إلى ظرف، ومع ذلك يبقى كالصفات الأصيلة الأخرى ملازماً للإنسان، مثل: الشجاعة والبخل والكرم والصدق.. إلخ. وبمعرفة ما ذكرت نجد أن الإنسان منذ أن وجد وهو في مسعى لحماية نفسه من الشيء الذي يخاف منه أيّاً كان مصدر ذلك الخوف. ومصادر خوف الإنسان عديدة، وتجتمع في كونها منشأ إنهاء حياة الإنسان أو من يعز عليه أو ينتفع به سواء إنهاءً كلياً أو جزئياً، ولذا وضع الإنسان الكثير من الاحتياطات لتأمين سلامته وتأجيل نهايته بشتى السبل، ومن تلك الاحتياطات إنشاء مباني حصينة لاتقاء التعرّض لهجوم مباغت ينهي كل شيء. ومن أهم وسائل تحقيق ذلك الأسوار التي توصل إليها الإنسان مبكراً سواء أكانت أسواراً نفسية وفكرية أو مادية إنشائية علماً أن الأولى لازمت الإنسان منذ ظهوره على كوكب الأرض إلا أنها تتضاعف في المجتمعات المقيمة المكتظة بالسكان، وتقل في المجتمعات غير المستقرة. وتشهد الدراسات الآثارية بأن الإنسان خلال عصوره الأولى كان يبتعد بنفسه عن المخاطر، فثبت أنه كان يقضي فترات نومه على أغصان الأشجار العالية القوية بعد وضع القليل من التعديل عليها. كما عُرف عنه التجائه إلى الأماكن المرتفعة وطرقه المغارات والكهوف وردم مداخلها بالحجارة اتقاءً للأخطار الطبيعية والبشرية.

والإنسان، كما تفيد الأدلة، لم يعرف الملكية حتى استقر، إذ إنه عندما كان صياداً كان مستهلكاً لما تجود به عليه بيئته من نبات وثمرة وحيوان وطير. لم يكن الوضع هنا ليدوم فجاء انقطاعه بوصول تغيرات بيئية وجوية إلى ذروتها مما أدى إلى تصحر كثيرٌ من بلدان العالم القديم، وجفاف مياهها الدائمة الصالحة للاستهلاك البشري والنباتي والحيواني. فالأرض لم تعد ذات الأرض المليئة بالأشجار والمياه بل أصبحت صحراء ماءها غار، ونباتها قل، وحيوانها هاجر، ولم تعد تستوعب كائناً بشرياً إلا أن استطاع أن يستصلحها لتكون أرضاً مثمرة ذات أشجار ومياه[١]. ومع تصحر الأرض بدأ الغطاء النباتي يتلاشى والثروة الحيوانية تقل، فوجد الإنسان نفسه في حاجة أن يدرك أمره، فبدأ في تهجين الحيوانات، وزراعة النباتات، وهذان الأمران حتّما عليه الإقامة في أماكن محددة لفترات طويلة، فبدأ ظهور الثروة عند الإنسان، وبدأت مشاحناته مع بني جنسه في سبيل الاستحواذ على أكبر قدر من الثروة وامتلاك الأراضي الأفضل للزراعة والرعي والإقامة.

---

[١] ميلارت،جيمس ، ١٩٩٠م ، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى. ترجمة ، محمد طلب . دمشق : دار دمشق.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

وأدى استقرار الإنسان لاستصلاح الأرض إلى وجود ثلاثة أنماط من أنماط المعيشة في البيئة الواحدة، أولها نمط مستقر يمتلك ثروات متنوعة، وثانيها تاجر ينقل سلعه من مكان إلى آخر، وثالثها متنقل بقي على نمط معيشته القديم يرعى بهيمة الأنعام، فنشأ صراع بين المقيم والمتنقل، فاتسعت دائرة الصراع، ولهذا السبب ظهر ما يُعرف بنظام الحماية الأولية المتمثل بالأسوار التي تبنى حول القرى في بادئ الأمر، وتكون منيعة بسمكها المبالغ فيه، وارتفاعها الشاهق، ووجود أبراج مراقبة عند نقاط محددة على امتداد جدرانها لسبر الأعداء ومشاغلتهم وكسر حدة اندفاعهم. كما أن الأسوار تشمل المزارع وأماكن الثروة الحيوانية. ويوجد في المملكة العربية السعودية نماذج على ذلك كثيرة تؤرخ بأزمنة مختلفة.

والتحصينات سمة من سمات الفترات التي ينعدم الأمن خلالها كنتيجة لعدم وجود الكيان السياسي القوي القادر على فرض الهيبة وزرع الخوف بمن تسول له نفسه الاعتداء على أرواح وممتلكات الآخرين بارتكاب الأعمال المنافية للمبادئ والقيم. كما أن الفترات المضطربة التي تسود خلالها الحروب إما نتيجة لانهيار كيانات سياسية قائمة أو لتعرّض الأرض لغزو من خارج حدودها يجعلها تعيش في فوضى سياسية واضطرابات أمنية نتيجة لطمع بعض أهلها ببعض من جانب، وما ينتج عن الغزو من الجانب الآخر. وبشكل عام تكثر وسائل التّحصّن وتتباين عبر العصور، فمنها: الأسوار، والقلاع، والحصون، وردم المنافذ وتقويتها بالحجارة ،كما أن هناك وسائل تحصن وإنذار مبكر مثل مواقع المراقبة على الجبال، وأماكن الرصد المتقدمة على مفترق الطرق، والأبراج المرتفعة على أسوار المدن.

ومن نتائج الدراسات الميدانية لبقايا المدن القديمة التي تم الوقوف عليها في المملكة العربية السعودية نجد أن نشوء المدينة في غالب الأحوال يكون في فترات آمنة، ثم يتبعها فترات فتن وحروب فيقام السور ويُسخر ليتماشى مع ما وصلت إليه المدينة من توسع وشكل، وحسبما وقفت إليه نتائج الدراسات الأثرية التي تم إنجازها فإن أهم المواقع المسورة بدءاً بالشمال وانتهاءً بالجنوب هي: قُريِّة، وتيماء، ومدائن صالح، ودادان، وثاج، والفاو، والأخدود.

وظائف الأسوار

الأسوار ليست مجرد مبان تشيد ليُحتمى بمتانتها وعلوها بل هي نتاج فلسفة متعددة الجوانب أفرزت الحاجة إلى الأسوار وقادت إلى الفائدة منها بقدرتها على أداء وظائف متعددة بعضها مرئي وبعضها فكري، ويمكن تصورها من خلال الحديث عن الوظائف التي يمكن أن تحققها الأسوار المشيدة. وللأسوار عدة وظائف إلا أن وظيفتها الأولى هي منع المباغتة من الوقوع، فعنصر المباغتة في الهجوم مميت في غالب الأحوال، فأوجد الإنسان الأسوار لكي لا يؤخذ على حين غرة فيُستعبد وتُصادر

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

ممتلكاته، وتسبى نسائه وذراريه، ويستولى على أرضه، فالأسوار توفر له وقتاً ليتدبر أمره أو يفاوض عدوه ويملئ عليه شروطه أو بعضها.

أما الوظيفة الثانية فقريبة من الأولى، إذ تتمثل بكسر عزيمة واندفاع المهاجم بصدها له وجعله يفكر بما قد يحدث له فجأة لكونه حائراً بما يفعل، فيقل اندفاعه وتنكسر عزيمته وتضعف، ويبدأ التفكير في النجاة بعد أن كان يفكر في الغنيمة والنصر. كما أنها تؤثر على الأعداء والخصوم تأثيراً نفسياً يتسبب في ترددهم عن غزو المستوطنة المسورة لعدم قدرتهم على تخيل ما يمكن أن يكون.

والوظيفة الثالثة هي حفظ القرى في حالة ذهاب أهلها إلى الغزو أو التجارة، إذا إنه من اليسير أن يقاتل الطفل والمرأة والمسن من خلف الأسوار برمي السهام، وبقذف المواد الحارقة، وسكب الزيوت المغلية على المهاجمين، وبهذا تتيسر مشاغلتهم إذ لم تُنزل بهم الهزيمة حتى تأتي نجدة أو يعود مقاتلي القرية إليها، أو يتسلل أحد سكان المدينة المحاصرة عبر المخارج السرية ليطلب النجدة من الحلفاء أو يستدعي جيش المدينة للعودة.

والوظيفة الرابعة تتمثل بالعامل النفسي المتمثل في خلق الحيرة لدى المهاجم بما توحي به الأسوار من توقعات لديه حول ما يمكن أن يواجه. ولا شك أن مثل هذه التوقعات تشتت ذهن المهاجم وتبدد جزءاً من وقته، والوقت هو أحد عوامل الحسم الرئيسة في كثيرٍ من الحروب.

وتظهر الوظيفة الخامسة للأسوار بما تبثه من معنوية في مقاتلي أهلها، إذ إنها تمثل الملجأ الأخير الآمن في حالة انهزام أهلها أمام أعدائهم، فتأوي المنهزمين، وتقفل أبوابها أمام المهاجمين، فلا يمكن أن يدخل مهاجم أو اثنان أو ثلاثة ليكونوا بين أعدائهم الذين هم بالمئات فيقابلوا حتفهم، والمثال على ذلك نجده فيما حدث في حصن المشقر في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية قبل الإسلام بقرن من الزمان عندما بدأ الفرس بذبح من يدخل الحصن من بني تميم حتى ذبحوا خلقاً كثيراً قبل أن يتدارك التميميون أمرهم ويفتكوا بالجنود الفرس.

والوظيفة السادسة للأسوار تتمثل فيما توفره من أمن دائم للممتلكات، فالممتلكات معرضة للنهب من قبل لصوص الليل الذين قد يطرقوا المنازل بينما أهلها نيام، فيسوقوا ما تصل إليه أيديهم من حيوان ومال، ألا أن وجود الأسوار يقلل من خطر هؤلاء، بل يتيح لأهل القرية أن يتيقنوا ممن بداخلها، وبهذا لا يتجرأ أحد أن يسرق لأن اكتشاف أمره سوف يكون يسيراً؛ ولن يستطيع أحد أن يلج القرية بهدف السرقة، لأنه لن يجد طريقاً للنجاة في حالة افتضاح أمره.

والوظيفة السابعة هي زرع الشك في المهاجم بعدم تمكينه من توقع عدد المقاتلين المحتمين بالأسوار، وربما قاد هذا الشك إلى الانصياع للقبول بالصلح وشروطه بالرغم من التفوق العددي والتقني، وهذا ما حدث فعلاً بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وأهل

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

اليمامة أيام حروب الردة عندما قبل بالصلح ظناً منه أن النساء والأطفال الذين تبدو رؤوسهم من فوق سترة الأسوار العليا مقاتلين فتصور أن أعداد المقاتلين تفوق عدد الجيش بكثير. ففي هذا الموقف أثرت الأسوار تأثيراً نفسياً على المهاجمين وجعلتهم يقبلون بشروط الصلح.

ومع فوائد الأسوار الكثيرة، تبقى مصدر شراً على أهلها إن لم يتم استخدامها بطريقة يقظة وحذرة، وتكون بتخطيط يستوعب إمكانية الحماية والدفاع والاستمرار والفرار معاً، فلا بد أن تكون مزودة ببوابات متعددة ذات قياسات متنوعة، ومخارج سرية على هيئة سراديب، وخنادق تُشق في باطن الأرض، إضافة إلى وجود المؤن اللازمة لمدة طويلة، ومصدر للماء الصالح للشرب. فان أفتقد السور للمتطلبات الرئيسة فقد يتسبب في إبادة أهل البلدة بعد حصرهم من قبل عدوهم، ثم استسلامهم، ثم إفنائهم.

الأسوار في المملكة العربية السعودية في العصور القديمة

حتى اليوم الحاضر لم توجه دراسة لأسوار المدن القديمة في المملكة العربية السعودية، علماً أنها من الظواهر المعمارية الآثارية التي تستحق البحث والدراسة والاستقراء. والأسوار تظهر في أي فترة ومكان، ففي المملكة العربية السعودية ظهرت الأسوار منذ العصر البرونزي، أي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد وحتى القرن العشرين الميلادي. ومن أشهر الأسوار القديمة سور قُريَّة، وتيماء في منطقة تبوك، ودومة الجندل في منطقة الجوف، وثاج في المنطقة الشرقية، والأخدود في منطقة نجران[٢]. أما الأسوار الإسلامية فمن أشهرها سور الخضرمة في الخرج[٣]، والهيصمية في الأفلاج، والرياض، والدرعية، وسدوس[٤]، والزلفي[٥]، والأسلامية بالقرب من بلدة حوطة بني تميم في منطقة الرياض، وعدد من المستوطنات يطول الحديث عنها.

---

[٢] زارينز، يوريس وآخرون، "تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران/الأخدود ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م". أطلال، العدد ٧، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ١٢-٢٤.

يقع الأخدود على خط الطول ١٠ ٤١ وخط العرض ٣٠ ١٧، ويتكون الموقع من تلال أثرية ومنشآت معمارية حجرية وتكثر فيه الكتابات والرسوم الصخرية. تبلغ مساحة ما تبقى من المستوطنة ٩٠٠م X ٨٠٠م تقريباً. زار الموقع عدد من الرحالة الغربيين، ونُفذت فيه عدة أعمال، مسحية وتنقيبية.

[٣] عدة زيارات ميدانية.

[٤] عثمان، محمد عبدالستار، سدوس وتحصيناتها الدفاعية؛ دراسة تاريخية أثرية معمارية (دراسة حالة) نشرته كلية الآداب بجامعة الكويت في حوليتها الثانية عشرة، الرسالة الثمانون، ١٤٠٢هـ/١٤٠٣هـ-١٩٩١م/٢٩٩١م.

[٥] اليوسف، عبدالرزاق بن أحمد، ١٤٠٨هـ، الزلفي. الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

وعندما ننظر في السجل الأثري للمملكة العربية السعودية، نجد أن أقدم المستوطنات الضخمة ذات الصفة الدائمة محاطة بالأسوار الحصينة، سواء أكانت المستوطنة في سهل من الأرض أو فوق جبل فإنها تُحاط بالأسوار المنيعة والتي تدل متانتها ومناعتها على وجود حالة من انعدام الأمن مريعة إبان العصر البرونزي وأوائل العصر الحديدي، وعلى انتشار الإنسان فيها وحولها بادية وحاضرة، وعلى وجود صراع بين إنسان ذلك الزمن بمختلف فئاته. ولا شك أن وجود مثل تلك الأسوار يدل على وجود مستوطنات وحركة بشرية كثيفة.

سور مستوطنة قُريّة

توجد مستوطنة قُريّة[٦] في منطقة تبوك على بعد ثلاثمائة كيلومتراً إلى الشمال من مستوطنة تيماء في أرض قفر في الوقت الحاضر لا يوجد حولها إلا القليل من المزارع الحديثة. يدل موقع هذه المستوطنة على أنها ظهرت إبان زمن تختلف خلاله نمطية استيطان المملكة العربية السعودية ومواطن الجذب البشري فيها عمّا نراه. لم يَعُدْ يرى في الموقع من على سطحه إلا بقايا أسواره الضخمة التي استطاعت أن تقاوم عوامل الهدم الطبيعية والبشرية، وأكوام جدران مدينته السكنية.

يحيط سور مستوطنة قُريّة برابية عالية لها قمم مستوية، ويُقسّم تلك القمم إلى أجزاء شبه مستطيلة، ثم ينحدر باتجاه الشمال الغربية نحو السهل ليحيط بمساحة كبيرة فيها توجد مكونات المستوطنة تحت التلال الترابية المتكونة عليها. ونال امتداد السور في الأرض السهلية التدمير واندفنت معظم أجزائه، أما الأجزاء المشيدة على الرابية الجبلية فلا تزال باقية ومحافظة على ارتفاعها إلى حدٍّ معقول. يشابه هذا السور سور مستوطنة تيماء في أشكال الألواح الحجرية المستخدمة وطريقة البناء والمونة، فمادة بنائه ألواح حجرية طولها ضعف عرضها في حالات، وفي حالات أخرى مربعة الشكل، وسمكها أقل من عرضها توضع فوق ألواح أقل في الطول وتتكرر العملية. واستخدمت المونة الطينية في ربط الحجارة وتقوية الجدران بالإضافة إلى شظايا الحجارة المختلفة بأحجامها. يصل ما تبقى من ارتفاع السور في بعض المواضع إلى ستة أمتار، وسمكه يصل إلى المترين، وهو مكون من جدارين بينهما فاصل محشو بالدبش وأحياناً بالطين. وفي مواضع على امتداد السور توجد أبراج مستطيلة الشكل

---

[٦] تقع تيماء عند التقاء خط الطول ٢٩ ٣٩ بخط العرض ٣٨ ٢٧ شمالاً. وتتبع من الناحية الإدارية لمنطقة تبوك. وجاء ذكرها في الكتابات القديمة، مثل: الآشورية، والبابلية، والآرامية، والنبطية، والعبرية. ولم ينقطع ذكرها في الكتابات الإسلامية إذ نجد ذكرها في الكتابات الجغرافية والتاريخية. كتب عن آثار تيماء عدد من المؤرخين والرحالة الغربيين، ونفذت فيها أعمال مسحية وأخرى تنقيبية من قبل بعثات محلية وأخرى أجنبية.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

وناتئة إلى الخارج. يبدو أن السور قد تأثر بالعوامل الطبيعية كالرياح والأمطار مما جعل بعض الألواح الحجرية تتآكل، ويبدو أن نوعاً من المونة الجصية قد أستخدم في بناء السور.

ويعتقد أن تاريخ بناءه يعود إلى العصر البرونزي، أي الفترة المدينية التي تنسب إلى أمة مدين، استدلالاً بطريقة ومادة بناءه، والأواني الفخارية التي وجدت في الموقع والتي تشابه ما عُثر عليه في موقع تمنا في جنوب فلسطين والمؤرخة بالفترة المدينية. ويلاحظ أن عوامل الزمن قد أثرت بما يوجد داخل السور من المنشآت، وفي الرابية نفسها وفي السور بالرغم من متانة وإحكام بنائه[٧]. ولا شك أن بقاء الأسوار قائمة على الرابية فيما متهدمة على المستوطنة ليدل على اختلاف في الزمن أو أن هناك إعادة بناء للسور بعد تهدم المستوطنة.

سور تيماء

يحيط بمستوطنة تيماء القديمة ثلاثة أسوار الواحد منها يطوق الآخر ويبعد عنه بمسافة كبيرة. وجميع الأسوار الثلاثة طمرتها الرمال باستثناء أجزاء من السور الثالث، الخارجي. وتم تنقيب بعض الأجزاء البسيطة من السور الخارجي واتضح أنه من أقدم الأسوار المعروفة في المملكة العربية السعودية. يحيط بالمستوطنة من جهاتها الأربع إلا أنه في الجهة الشرقية لا يكتمل نظراً لوجود بحيرة تشكل حصناً طبيعياً لتلك الجهة، وهناك من يروي أنه شاهد أساسات للسور في تلك الجهة. ومن حيث الزمن، فإلى وقت قريب كان الاعتقاد السائد هو أن هذا السور يؤرخ بالفترة البابلية، أي من القرن السادس قبل الميلاد[٨]، ولكن أفادت نتائج حفريات البعثة السعودية- الألمانية المشتركة أن السور المؤرخ بالفترة البابلية يقوم على سور يعود تأريخه إلى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد بموجب نتائج تحليل عينات عضوية بواسطة كربون ١٤ المشع[٩] لمادة التقطت من جوار أساسات السور.

وشيد السور على أساسات عميقة شقت في الأرض على شكل خنادق وضعت فيها كتل حجرية ضخمة من الحجر الرملي، ثم قامت عليها الأسوار بكتل حجرية مسطحة الشكل، وأحياناً مادة الطوب الطيني. استخدمت مادة الطين واللبن الطيني في ربط الأحجار، وشيدت فواصل على امتداد السور عند مسافات معينة لتقوم مقام

---

(7) Philby, H. StJ. B., "The Lost Ruins of Quraiya", the Journal of the Royal Asiatic Society, No. CXVII, Part 4, 1955, PP. 248-259.

(٨) أبو درك، حامد، دراسة نقدية مقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية، الرياض : وكالة الآثار والمتاحف ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م ، ص ٢٢

(٩) السعيد، سعيد بن فايز وآخرون، "تيماء خريف ٢٠٠٤ وربيع ٢٠٠٥: ١- التقرير الثاني عن المشروع الآثاري السعودي الألماني المشترك"، أطلال، العدد ٢٠، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأعمدة (اللوحة ٢: أ)، ووضعت الأحجار بتداخل وعند مسافات متباينة لتتماسك وتصبح كتلة واحدة. والسور مزود بدعامات خارجية بارزة عنه لتأخذ سمكاً عند مسافات معينة أعرض من سمكه (اللوحة ٢: ب).

يأخذ السور شكلاً غير منتظم بطول يبلغ خمسة عشر كيلومتراً وله خمس بوابات تتفاوت في اتساعها، فمنها بوابتان اتساع الواحدة أثنا عشر متراً؛ وثلاث اتساع الأولى عشرة أمتار وثمانون سنتيمتراً، والثانية ثمانية أمتار ونصف المتر، والثالثة خمسة أمتار وثمانون سنتيمتراً. ويقوم على جانبي بعض البوابات برجان، كل برج في جانب، يستخدمان للمراقبة ومناوشة المحاصرين للسور في حالة هجوم غزاة فجأة[١٠].

وشيد بمادة الحجارة المكونة من ألواح حجرية بأطوال متفاوتة وأحجام متباينة، واستخدمت الشظايا والكسر الحجرية الصغيرة في سد الفراغات الناتجة عن اختلاف أشكال الألواح الحجرية، كما استخدمت المونة في بعض المواضع علماً أن طريقة البناء المتداخل من العوامل التي ساعدت السور على البقاء. طمرت الرمال المنقولة بواسطة الرياح أغلب أجزاء السور، ويدل، مع ذلك، ما بقي أن ارتفاعه يصل إلى أكثر من الستة أمتار، بينما يبلغ عرضه أكثر من مترين.

سور دومة الجندل

يحيط بدومة الجندل سور ينحدر من قمة رابية، تقوم عليها قلعة متعددة المستويات تُعرف باسم قلعة مارد تملأها المنشآت المعمارية ليحيط بالسهل الممتد إلى الشمال الغربي من القلعة نزولاً من المرتفعات المحيطة بالسهل. شُيد هذا السور بكتل حجرية مهذبة واستخدمت المونة الطينية في ربط كتل الحجارة، ويظهر التشابه بين سور قُريّة وسور دومة الجندل وسور تيماء في وجود أسوار داخل الأسوار الرئيسة، بل نجد أن قلعة مارد مكونة من عدة أجزاء يعلو بعضها بعضاً تبعاً لطبوغرافية الرابية التي تقوم عليها القلعة ويحيط سور بكل مستوى[١١].

سور دادان

بالنسبة لموقع دادان[١٢] في محافظة العلا فتحصره الجبال من ثلاث جهات، الشرقية والغربية والشمالية؛ أما الجهة الرابعة، الجنوبية، فمفتوحة. ومع ذلك لم يُعثر

---

[١٠] التيمائي، محمد بن حمد سمير، منطقة رجوم صعصع بتيماء، الرياض، وكالة الآثار، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

[١١] التميم، عبدالله بن مهنا بن محمد، ١٩٨٥م، صور تاريخية عن حضارة الجوف. المدينة المنورة: مطابع الرشيد.

[١٢] تقع الخريبة "دادان" على خط الطول ٥٢ ٣٧ شرقاً وخط العرض ٢٩ ٢٦ شمالاً، وهي عبارة عن مستوطنة على ضفة وادي تعرضت لتدمير شديد قلب عاليها سافلها، زار الموقع عدد من الرحالة الغربيين وكتب عنه بعضهم. نفذت فيه عدد من الأعمال المسحية والتنقيبية من قبل قطاع الآثار والمتاحف، وبدأت جامعة الملك سعود أعمال تنقيبية في الموقع عام ١٤٢٤هـ ولا تزال مستمرة.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

على سور فيها، بينما عُثر في الجهة الشمالية على بقايا سور ينزل من جبل الخريبة ويقطع الوادي ليلتحم بالسلسلة الغربية فاصلاً الموقع عمّا يوجد إلى الشمال منه، وهذا من أنماط الأسوار التي تستفيد من مظاهر السطح من حولها.

سور ثاج

يحيط بالمنطقة السكنية في ثاج[١٣] سور يمكن مشاهدته من على سطح الموقع إلا أنه لا يبرز عن سطح الموقع إلا بضعة سنتمترات نتيجة لطمره بالأتربة وتهدم أجزاءه العليا. وهو مشيد بكتل حجرية ضخمة ومشغولة، ويأخذ شكل متوازي أضلاع غير منتظم. ويبلغ مجموع أطوال السور كيلومترين ونصف تقريباً؛ فالضلع الشرقي تبلغ أبعادة ٥٣٥متراً، والضلع الغربي ٥٩٠متراً، والضلع الجنوبي ٦٨٥متراً، والضلع الشمالي ٧٢٥متراً. ويتراوح سمك السور ما بين ٤-٥ أمتار. ونتيجة لخندق قام بتنقيبه أحد الباحثين [١٤]، تبين أن عمق الجزء المندفن من السور يبلغ ٢،٣٠متر تقوم على أساس ضخم يبرز عن الجدار متر ونصف المتر من الداخل، وقد بني من حجارة مهذبة، ومُلئت الفراغات بين الأحجار بالمونة ذات اللون الإسمنتي. ويوجد في كل ركن من الأركان برج مبني من الأحجار ويشترك مع السور من الخارج إلا أنه يبرز عنه. ونظراً لعدم اكتمال كشف السور فلم تحدد بواباته بعد، وتقدر المساحة التي يحصرها السور بـ ٤٤١٥٠ متراً مربعاً [١٥].

الاستنتاج

يتضح أن الأسوار ظاهرة حضارية وحاجة ملحة صاحبت ظهور المستوطنات في المملكة العربية السعودية وشبه الجزيرة العربية بشكل عام. وبهذا ينتفي الاعتقاد بأن نظام القلاع والأسوار ووسائل الحماية في المملكة العربية السعودية خاصة والجزيرة العربية عامة قد نشأ بتأثير من الحضارات المجاورة وبخاصة بلاد الهلال الخصيب، فالحاجة هي الدافعة لوجودها، كما أنها ضرورة من ضرورات الدفاع عن النفس والثروة.

---

[١٣] تقع ثاج في وادي المياه على خط الطول ٤٣ ٤٨ شرقاً وخط العرض ٥٢ ٢٦ شمالاً، يُعَدُّ موقع ثاج من أكبر المواقع الأثرية القديمة في شبه الجزيرة العربية. زار الموقع عدد من الرحالة الأجانب وكتب عنه عدد من الباحثين السعوديين. نفذت في الموقع أعمال مسحية وتنقيبية من قبل بعثات أجنبية ومحلية.

[١٤] عوض بن علي بن أحمد السبالي الزهراني، ثاج: دراسة أثرية ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

[١٥] إسكوبي، خالد محمد وسيد رشاد أبو العلا، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، حفرية ثاج-الموسم الثاني١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. أطلال، العدد ٩، ١٤٠٦هـ/١٩٩٦م: ٧٣-٥٥.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

نستنتج من الدراسة الحالية بأن تأريخ الأسوار في المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية يقوم في بدايته على الافتراض وبخاصة في موقعي قُريَّة وتيماء إذ إنه مبني على الاستدلال من مجموعة من الأواني الفخارية المزخرفة بالألوان والتي عادة ما تنسب إلى أمة مدين تلك الأمة التي عاشت خلال العصر البرونزي بمد زمني يقع بين ١٧٠٠ ق.م و ١٠٥٠ ق.م تقريباً. ولكن الحال تغيرت مع تقدم الأعمال الأثرية في كمّها ونوعها.

فبالنسبة إلى قُريّة فقد قمنا بزيارتها عام ١٤٢٨هـ، ووقفنا على الموقع، وفحصنا سوره، وبخاصة الجزء القائم على الرابية الواقعة بالقرب من المستوطنة، وهو الجزء الذي لا يزال يحتفظ بارتفاع يصل إلى ستة أمتار، وحول تلك الأسوار لاحظنا وجود كسر فخارية من النوع المنسوب إلى أمة مدين، وشاهدنا داخلها مقابر ركامية حجرية منهوبة مما أدى إلى كشف مكان الدفن الذي لا يختلف عمّا وجد في موقع عين فرزان في محافظة الخرج في منطقة الرياض، وفي سبخة أم الحمام في محافظة ابقيق، وفي مواقع متعددة في واحة يبرين في المنطقة الشرقية، ومنطقة الصبية في الكويت. وهذا التماثل يرجح أن تؤرخ المستوطنة الأقدم والأسوار بالألف الثالث قبل الميلاد.

أما سور تيماء فكان يؤرخ بزمن الملك البابلي نابونيد في نهاية النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، إذ أُعتُقد أنه هو من أمر بتشييده عندما اتخذ من مدينة تيماء عاصمة له ليقيم فيها لمدة عشرة أعوام، وقيل سبعة، وقيل غير ذلك. ولكن الأبحاث الحديثة، وبخاصة الأعمال الميدانية للبعثة السعودية- الألمانية المشتركة، أشارت إلى احتمالية تاريخ بناء السور بنهاية الألف الثاني قبل الميلاد استدلالاً بنتائج تحليل مواد عضوية بكربون ١٤ التقطت من مواقع حفرت عند أساسات السور، كما عُثر على بعض الكسر الفخارية التي شخصت على أنها من فخار مدين المؤرخ بالألف الثاني قبل الميلاد. وإلى جانب ذلك يوجد حقل مدافن يُعرف باسم رجوم صعصع وقفنا عليه وشاهدنا بعض مدافنه المنقبة والتي تماثل ما نعرف في المناطق المذكورة أعلاه وربما أن تاريخها يعود إلى الألف الثالث ق. م. وهذا يعزز التاريخ الذي أشارت إليه نتائج أعمال البعثة السعودية الألمانية المشتركة.

أما فيما يخص سور دومة الجندل فلم يقدم تاريخاً له قائماً على دراسات ميدانية، ولكن المتعارف عليه أنه يؤرخ بالفترة النبطية، وربما أن تاريخه أقدم من ذلك بكثير.

وبالنسبة إلى استيطان ثاج فإن أقدم تاريخ يعود إليه هو منتصف الألف الأول قبل الميلاد تماشياً مع وجود طبقات استيطانية في المنطقة السكنية التي يحيط بها السور تؤرخ بذات التاريخ. وقد يعود تاريخ نشأته إلى زمن أقدم خصوصاً وأنه محاط بمدافن تلالية يُؤرخ البعض منها بالألف الثالث قبل الميلاد، إلا أنه من الواضح أن السور قد بُني بعد نمو المستوطنة ولذا فالأرجح أن تاريخه يوافق فترة ازدهار المستوطنة، ربما ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والثاني الميلادي.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

نخلص من هذه الدراسة إلى أن نظام أسوار الحماية والتحصن عرف في المملكة العربية السعودية منذ عهود قديمة جداً ربما يوازي ظهور مستوطنات الواحات. واستمر في الاستخدام حتى العصر الإسلامي ثم خلاله وإلى ما قبل تسعين سنة من اليوم الحاضر ١٤٣٢/٨/٢١هـ. ويلاحظ اختيار المرتفعات لتكون مشمولة بالأسوار مثل ما يوجد في قُريّة وتيماء ودومة الجندل، وربما أنها إستراتيجية اختيار المستوطنة أن تكون قريبة من مرتفع يكون هو القلعة التي يلجأ إليها السكان في حالة الخطر، وتكون القلعة مربوطة بالمستوطنة والمزارع بنظام أسوار واحد. وفيما يخص مادة البناء فقد اتضح أن الحجارة هي المادة الشائعة في بناء الأسوار؛ إضافة إلى استخدام الطوب الطيني وأحياناً الطين على شكل عروق، استخدم الجص والطين في تكسية جدران الأسوار لتقويتها في مقاومة عوامل التعرية والأمطار.

وصاحب الأسوار ظهور المستوطنات المبكرة ومن أقدمها مستوطنة دلمون الثانية في البحرين، ومستوطنة دلمون في جزيرة فيلكه؛ وقُريةٌ، وتيماء، ودادان في شمال غرب المملكة؛ ودومة الجندل في شمال المملكة، وثاج في شرقي المملكة. وهناك العديد من الحصون في بقية أجزاء الجزيرة العربية مثل حصن مليحة في الأمارات العربية المتحدة (إمارة الشارقة)، وحصون كلباء والحصون في السلطنة العمانية، ثم حصون اليمن التي أحياناً تشكل جزءاً من لقب حكام بعض الممالك مثل حصن ريدان الذي تلقب به ملوك حمير.

وشاع قبيل الإسلام بناء الأسوار والحصون ومنها على سبيل المثال حصن الأبلق وحصن مارد اللذان وردا في المثل العربي القائل (تمرد مارد وعز الأبلق). كما كانت الطائف محاطة بسور ضخم لم يستطع الجيش الإسلامي اقتحامه ألا بعد ضربه بالمنجنيق. وكانت اليمامة محاطة بسور ضخم لم يستطع الجيش الإسلامي اقتحامه إلا بعد صعود مغامرين فتحوا أبوابه للجيش. ويجب إلا ننسى ذكر الأطام التي كانت في المدينة المنورة قبيل ظهور الإسلام والتي بلغ عددها مائة وعشرين أطماً، واستمرت الأسوار خلال العصر الإسلامي الوسيط بعد أن ظهرت الثورات الانفصالية عن جسم الدولة الإسلامية.

وهكذا نجد أن الأسوار تظهر خلال كل فترة يضعف فيها الأمن أو كل فترة يعود الاستيطان فيها لينشأ من جديد، والأمثلة على ذلك: أسور الرياض، والدرعية، والحصون، والزلفي، وعودة سدير، وبريده، وفيد، وبقعاء، وحائل، والقطيف، والدلم، والحوطه، والأسلمية في حوطة بني تميم، والحريق.

ولا شك أن الأسوار ظاهرة آثارية تدل بشكل مباشر على أن الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية خاصة كانت مأهولة بشكل كثيف وانه يوجد فيها أنماط استيطان متنوعة منها المزارع والراعي والمتاجر. وعليه فالأسوار ظهرت كاستجابة لحاجة ضرورية حتم النزاع وجودها على مدار التاريخ السابق على ظهور الآلة الحديثة.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

أبو درك، حامد، **دراسة نقدية مقارنة لبعض المعالم الأثرية؛ في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية**، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٢.

التميم، عبدالله بن مهنا بن محمد، ١٩٨٥م، **صور تاريخية عن حضارة الجوف**. المدينة المنورة: مطابع الرشيد.

التيمائي، محمد بن حمد سمير، **منطقة رجوم صعصع بتيماء**، الرياض، وكالة الآثار، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

السعيد، سعيد بن فايز وآخرون، "تيماء خريف ٢٠٠٤ وربيع ٢٠٠٥: ١- التقرير الثاني عن المشروع الآثاري السعودي الألماني المشترك"، **أطلال**، العدد ٢٠، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. .

زارينز، يوريس وآخرون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، "تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران/الأخدود ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م". **أطلال**، العدد ٧: ١٢-٢٤

عثمان، محمد عبدالستار، **سدوس وتحصيناتها الدفاعية؛ دراسة تاريخية أثرية معمارية (دراسة حالة)** نشرته كلية الآداب بجامعة الكويت في حوليتها الثانية عشرة، الرسالة الثمانون، ٢١٤١هـ/٣١٤١هـ-١٩٩١م/٢٩٩١م).

عوض بن علي بن أحمد السبالي الزهراني، **ثاج: دراسة أثرية ميدانية**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

إسكوبي، خالد محمد وسيد رشاد أبو العلا، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، "حفرية ثاج-الموسم الثاني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م". **أطلال**، العدد ٩: ٧٣-٥٥.

ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، المجلد الثالث، دار بيروت: الجيل ودار لسان العرب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

ميلارت، جيمس، ١٩٩٠م، **أقدم الحضارات في الشرق الأدنى**. ترجمة، محمد طلب. دمشق: دار دمشق.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، **صفة جزيرة العرب**. تحقيق، محمد بن علي الأكوع. الرياض: دار اليمامة.

اليوسف، عبدالرزاق بن أحمد، ١٤٠٨هـ، **الزلفي**. الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

المصادر والمراجع الأجنبيه

Philby, H. StJ. B., "The Lost Ruins of Quraiya", **the Journal of the Royal Asiatic Society**, No. CXVII, Part 4, 1955, PP. 248-259.

Jelinek, Jan, **The Primitive Hunters, a Search for Man the Hunter**, Zechoslovakia, TSNP Martin, 1989.

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

خريطة

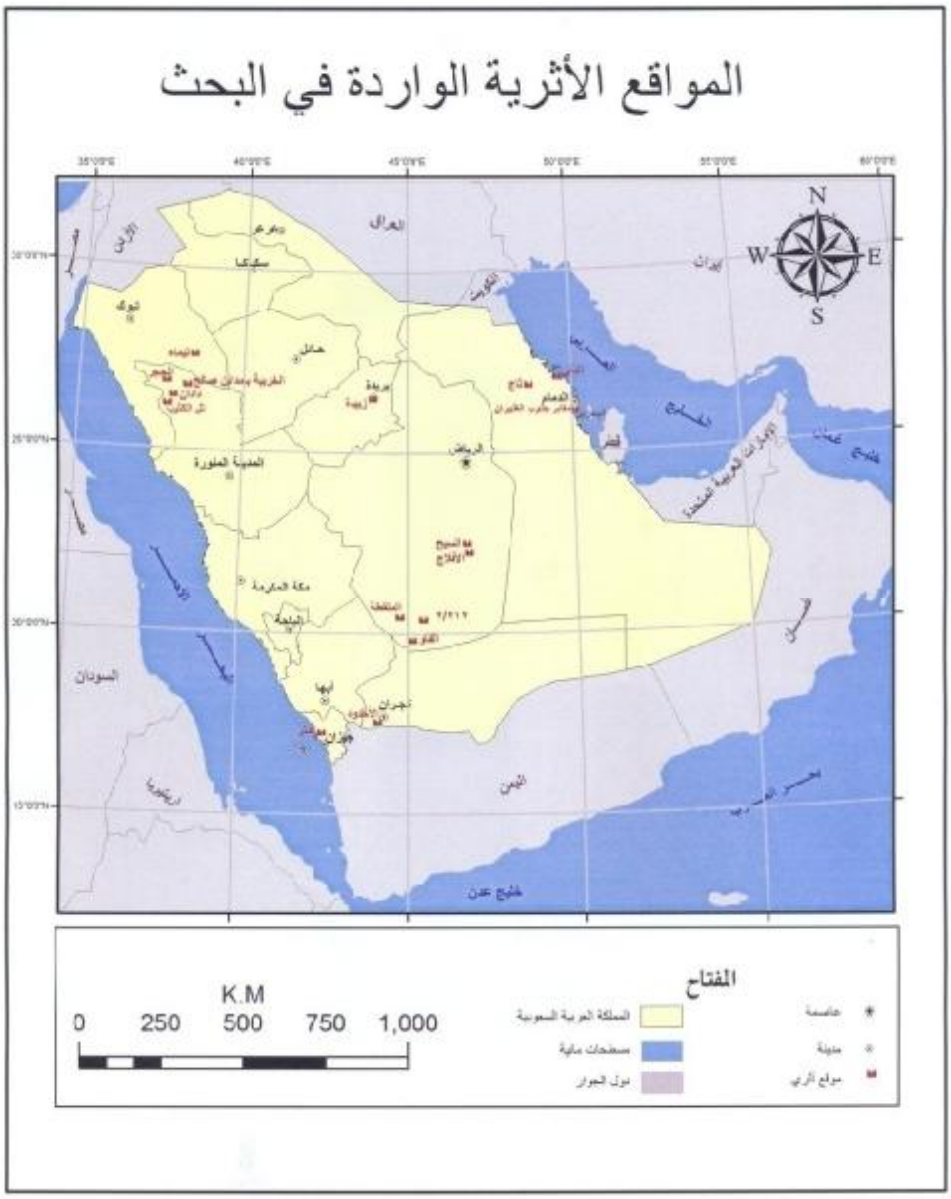

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

اللوحة (١)

أ- جزء من سور قريَّة في منطقة تبوك

ب- جزء من سور المنطقة السكنية في قريِّة في منطقة تبوك

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

اللوحة (٢)

أ- جزء من ارتفاع سور القرية تيماء في منطقة تبوك

ب- جانب من جوانب سور القرية في تيماء في منطقة تبوك

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.

اللوحة ٣

أ- في الخلفية البعيدة جزء من السور الثالث للقرية في تيماء في منطقة تبوك، وفي الخلفية الوسطى سور ها الثاني

ب- جزء من المنطقة السكنية في القرية في تيماء في منطقة تبوك

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللوحة (٤)

جزء من سور الخضرمة في اليمامة في محافظة الخرج في منطقة الرياض

قصر سعود في محافظة الزلفي في منطقة الرياض يبين متانة السور

المدينة الأسلامية بالقرب من حوطة بني تميم في منطقة الرياض، تظهر الأسوار الخارجية في الخلفية البعيدة، وفي الخلفية القريبة أسوار المستوطنة

المنارة للاستشارات
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com
www.